مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

قوادح تعظيم الدين في ضوء القرآن الكريم
اللهو واللعب نموذجًا - "دراسة عقدية"(*)

DOI: https://doi.org/10.55074/hesj.vi33.838

د/ محمد بن محمد الراجحي الشهري
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

*) تاريخ تسليم البحث 9/8/2023 تاريخ قبوله للنشر 17/9/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

قوادح تعظيم الدين في ضوء القرآن الكريم
اللهو واللعب نموذجًا - دراسة عقدية

د/ محمد بن محمد الراجحي الشهري
عضو هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص

بحث يدرس دراسة عقدية نموذجًا من نماذج القدح في تعظيم الدين؛ ألَا وهو: اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، متطرّقًا لتعريف اللهو واللعب، ومبيّنًا معنى اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وذاكرًا أسبابه وصوره ثم طرق علاجه، وذلك في ضوء القرآن الكريم من خلال آيتي سورتي الأنعام والأعراف الذاكرتين لاتخاذ الدين لهوًا ولعبًا وما ذكره المفسرون في تفسيرهما، وهو بحث مكوَّن من: تمهيد، وثلاثة مطالب، على النحو التالي:

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات العنوان (القوادح، تعظيم الدين، اللهو واللعب)

المطلب الأول: أسباب اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه ثلاثة أسباب.

المطلب الثاني: صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه خمس صور.

المطلب الثالث: طرق معالجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه ثلاث طرق.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: اللهو– اللعب – تعظيم الدين.

Qawadah Glorifying Religion in the light of the Holy Quran Fun and Dlaying as a model - a decade-long Study

Dr. Muhammad bin Muhammad Al-Rajhi Al-Shehri
Faculty Member in the Department of Faith and Contemporary Doctrines
College of Sharia and Fundamentals of Religion – King Khalid University

Abstract:

Research examining a doctrinal study as a model of slander in glorifying religion. Which is: taking religion as a pastime and a game, touching on the definition of fun and play, explaining the meaning of taking religion as a pastime and a game, and mentioning its causes and forms, then methods of treatment, in the light of the Holy Qur'an through the two verses of Surahs Al-An'am and Al-A'raf, which mention the taking of religion as a pastime and a game, and what the commentators mentioned in their interpretation.
Keywords: Fun - playing - glorifying religion.

مقدمة البحث:

الحمد لله ربِّ العالمين، إلهِ الأوَّلين والآخرين، وليِّ عباده المتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه حمدًا، وأشكره شكرًا، وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم – تسليمًا كثيرًا، ثم أما بعد:

فإن الله تعالى امتنَّ على هذه الأمة المحمدية بنعمٍ كثيرة، ذكَّرها بها في كتابه العظيم وفي سُنَّة رسوله الكريم ﷺ، وكان من أعظمها أن بعث لها خاتم الرسل وأفضلهم، وأنزل لها آخر الكتب والمهيمن عليها، وأكمل لها دينها فأتمَّ عليها نعمته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ: (إنَّكم تُتِمُّونَ سَبعينَ أُمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرَمُها علَى اللهِ)(١)، وفي مواطن أخرى يذكر الله ما امتنَّ به على بعض الأمم السابقة واصطفاها به ولكنها طغت وخالفت، ولم تحفظ ذلك الاصطفاء، فكانت كأن لم تكن، فكان التوجيه الرباني لهذه الأمة المحمدية بالإعراض عنهم والتَّرك لسبيلهم، ولزوم ما أنزل الله على رسوله ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 16-١٨]، وخصَّص -جلَّ وعلا- بالتحذير والتَّرك بعض أعمالهم كاتخاذهم الدين لعبًا ولهوًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

ولمَّا حذَّر الله من ذلك دلَّ على أنه من الأعمال القادحة في تعظيم دين الله المنزل إليهم والمنافية لتعظيمه وتصديقه ثم امتثاله؛ مما دفع للبحث في صور ذلك القادح ومراتبه وأحكامه؛ ليكون العبد منها على بيِّنة فلا يقع فيما وقعوا فيه فيناله ما نالهم!، وعليه: أحببت أن يكون بحثي هذا موسومًا بـ(قوادح تعظيم الدين في ضوء القرآن الكريم، اللهو واللعب نموذجًا، دراسة عقدية) سائلًا الله تعالى التوفيق والسداد.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، برقم (٣٠٠١)، ٢١١/٥، قال الترمذي: هذا حديث حسن، وأخرجه ابن ماجة في أبواب الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ، برقم (٤٣٤٢)، ٤٤٦/٢، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٣٠٠١)، ٢٠٥/٣.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا البحث وأسباب اختياره فيما يلي:

- ورود النهي عن متابعة مزالق الأمم السابقة.
- الاطلاع على بعض أسباب ضلالهم وهلاكهم.
- بيان خطورة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا.
- قلَّة الباحثين في هذا الجانب.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

- إيضاح القوادح في تعظيم الدين ومراتب حكمها.
- بيان صور تلك القوادح المندرجة تحت اللهو واللعب.
- ذكر أسبابها وطرق علاجها.

مشكلة البحث:

وجود قوادح في تعظيم دين الله ذات نماذج عدة، منها: اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وله صـــور متعددة، تحتاج إلى الاطلاع عليها، وبيان أحكامها، والنظر في أسبابها، لئلَّا يقع الناس فيها، وليبحث عن طرق علاجها.

وتظهر مشكلة البحث من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما معنى القوادح؟
- وما مراتب حكم القدح في الدين؟
- بماذا يكون تعظيم الدين؟
- ما مفهوم اللهو واللعب؟
- ما صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا؟
- ما حكم تلك الصور وما مدى تأثيرها بالقدح في تعظيم الدين؟
- ما طرق مواجهة تلك الصور؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتحرّي بوسائل البحث ومواطنه لم أجد موضوعًا خاصًّا لهذا القادح بدارسة عقدية على وجه التفصيل ببحث مستقل، لكنَّ هنالك تعرُّضًا لهذا القادح فيما ذكره د. يوسف بن محمد السعيد في دراسته وتحقيقه وشرحه لكتاب "المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية" للإمام محمد بن عبدالوهاب، وذلك عند شرحه للمسألة "الثانية والعشرين": (أنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا)، وقد اشتمل ما ذكره على ما يلي:

- عرضه المختصر لأقوال المفسرين في معنى "اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا"، وذكر منها أربعة أقوال، دون إثبات لألفاظ أولئك المفسرين، ودون ذكر أدلة لبعضها.

- ثم أشار إلى وقوع أهل الكتاب والمشركين في شيء من التلاعب واللهو ومثَّل لذلك دون دراسة وتحليل لذلك.
- ثم بيَّن ما خالفهم به الرسول ﷺ في ذلك: مِن ذكرِه ما توعَّد الله به مَن فعل ذلك كما في آية الأعراف وغيرها، ونهيه عن اتخاذ آيات الله لعبًا ولهوًا، واشتداد غضب الرسول ﷺ على من ظنَّه متلاعبًا بحدود الله وأحكامه.
- ثم أشار على وجه العموم لوجود صور لذلك ممن ينتمي للإسلام كبعض المتصوفة والمتكلمين والمنافقين.
- وكل ما سبق في سبع صفحات فقط.

وأما بحثي هذا فيفرق بالتالي:

١- اشتمال التمهيد على التعريف بألفاظ ومصطلحات عنوان البحث من كلام المفسرين وأهل اللغة، ومنها لفظا "اللهو، واللعب" وهذا لم يتعرَّض له الباحث.

٢- ذكر أسباب اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا كما في المبحث الأول، وهذا لم يتعرَّض له الباحث.

٣- حصر البحث فيما تشمله آيات سورتي الأنعام والأعراف.

٤- تتبُّع أقوال المفسرين في معاني اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا وجمعها فيما توافقت فيه من الصور، وهذا لم يعتنِ به الباحث.

٥- التحليل والدراسة العقدية لتلك الصور المأخوذة من كلام المفسرين، وهذا لم يشتغل به الباحث.

٦- تخصيص المبحث الثالث "الأخير" لمعالجة تلك الصور من واقع سياق آيات سورتي الأنعام والأعراف، وليس على وجه العموم كما فعل الباحث من حال الرسول ﷺ وفعله.

حدود البحث:

سيكون البحث في حدود ما ذكره المفسرون من صور اللهو واللعب عند تفسيرهم لآية سورة الأنعام﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وآية سورة الأعراف ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١]، وتحليل ما ذكروه في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي لكلام أبرز المفسرين في تفسير آيتي الأنعام والأعراف والمتضمِّن: أسباب وصور وطرق معالجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا ثم الدراسة العقدية لذلك والمبيِّنة للأحكام المتعلقة بها.

خطة البحث:

التمهيد: التعريف بمصطلحات العنوان (القوادح، تعظيم الدين، اللهو واللعب)، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالقوادح ومراتبها.

المسألة الثانية: التعريف بتعظيم الدين ومظاهره.

المسألة الثالثة: التعريف باللهو واللعب.

المطلب الأول: أسباب اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه ثلاثة أسباب:

السبب الأول: الاغترار بالحياة الدنيا.

السبب الثاني: ضعف اليقين بأن الدين حق.

السبب الثالث: التهاون في الامتثال للدين.

المطلب الثاني: صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه خمس صور:

الصورة الأولى: عدم الانقياد والاستسلام للدين وشرائعه.

الصورة الثانية: الاستهزاء بتعاليم الدين وشعائره.

الصورة الثالثة: التبديل والتحريف في نصوص الدين وشعائره.

الصورة الرابعة: التقرُّب إلى الله باللهو واللعب.

الصورة الخامسة: التزلُّف بالدين لنيل حظٍّ من الدنيا.

المطلب الثالث: طرق معالجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: الإنذار.

الطريقة الثانية: الهجر والاعتزال.

الطريقة الثالثة: العقوبة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس.

التمهيد:

التعريف بالقوادح، وتعظيم الدين، واللهو واللعب

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف القوادح ومراتبها:

"القوادح" في اللغة جمع "قَدَح"، و: ("قَدَحَ": القاف والدَّال والحاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدهما على شيءٍ كالهَزْم في الشيء، والآخر يدلُّ على غَرْفِ شيء...، ومنه قولُهم: قَدَحَ في نَسَبِهِ: طَعَنَ)[1]؛ (وقَدَحَ في عِرْضِ أَخيهِ يَقْدَحُ قَدْحًا: عَابَهُ)[2]، وعلى ما سبق: فيكون معنى "القَدْح" في الشيء لغةً: التأثير في الشيء وعيبه بالأخذ منه والانتقاص له.

وبذلك يمكن تعريف "القَدْح في الدين" اصطلاحًا بأنه: انتقاص الدين الحق بالطعن في أصله أو كماله، ويتضح ذلك من خلال بيان مراتب ذلك القدح وأحكامها.

مراتب القدح في الدين:

تتفاوت مراتب القدح في دين الله تعالى، فليست على مرتبة واحدة؛ وذلك بحسب نوع المسألة المختلَف فيها ومكانتها من دين الله أصلًا أو كمالًا، فتكون القوادح على مرتبتين:

المرتبة الأولى: قوادح مكفِّرة، وهي التي تقدح في أصل الدين فتَنقضه وتُبطله، كالقوادح في أصول الاعتقاد: من الإتيان بما ينقض أركان الإيمان الستة أو بعضها، والتي بها يخرج العبد من الإسلام، وتحرم عليه الجنة، ويخلد في النار.

المرتبة الثانية: قوادح غير مكفِّرة، وهي التي تقدح في كمال الدين فتُنقصه وتُضعفه، كالإتيان بما يُنقص الإيمان ويُضعفه: من الكفر الأصغر، والبدع غير المكفِّرة، وارتكاب الكبائر، فلا يخرج بها العبد من الدين، وإنما يكون بها من أهل الوعيد إن لم يتب[3].

وعند النظر في الآيتين الواردتين في اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا نجد أنه في الآية الأولى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وفي الآية الثانية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٥١]، والكفر قادح في الدين, سواء كان كفرًا أكبر أو كفرًا أصغر – على تفاوتٍ بينهما – وذلك يظهر من خلال دراسة صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا وبيان أحكامها.

المسألة الثانية: تعريف تعظيم الدين ومظاهره:

هذا الدين العظيم قد أخذ عظمته من عظمة مُنْزِلِهِ وهو الله العلي العظيم، ثم من الحق الذي جاء به واشتمل عليه، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، والعبد إذا أيقن بعظمة الدين الإلهي ظهر أثرُ ذلك عليه في قلبه ولسانه وجوارحه، وكان أبعد الناس عمَّا يقدح فيه أو يخلُّ به.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٦٧-٦٨.

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/٤٩-٥٠.

(٣) ينظر: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – رحمه الله –.

والمراد بتعظيم الدين هو: اليقين الجازم في القلب بأن الدين حق، ومحبَّته وإجلاله، والاتِّباع لكل ما يدعو إليه، والبُعد عمَّا يضادُّه أو يُنقصه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، [الحج: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، قال ابن كثير: (أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه, ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: فله على ذلك خير كثير، وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثوابٌ كثير وأجرٌ جزيل، كذلك على تلك المحرَّمات واجتناب المحظورات)[١].

وذلك أن (تعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظِّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابعٌ لتعظيم الله وإجلاله)[٢]، و(معنى تعظيمها: إجلالها، والقيام بها، وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد)[٣]، (وحرمات الله: كل ما له حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحَرَم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها، فتعظيمها إجلالها بالقلب، ومحبَّتها، وتكميل العبودية فيها غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل)[٤].

ولتعظيم الدين حقائق ودلائل، منها:

١- الإقرار الجازم بأن دين الله حق ونور وهدى ورحمة.

٢- إجلال شعائر الدين وشرائعه.

٣- المبادرة إلى القيام بتعاليمه وأحكامه ومقتضاها تصديقًا وتسليمًا.

٤- بذل الجهد والنصح في الإتيان بتعاليمه وأحكامه على أكمل وجه.

٥- إظهار شعائره، وهي أعلام الدين الظاهرة، وذلك بإقامتها والمحافظة عليها.

٦- إكبار القلب للوقوع في المحرَّمات والمحظورات[٥].

المسألة الثالثة: تعريف اللعب واللهو:

أما اللعب في اللغة فقيل في أصله: إنه (الذَّهاب على غير استقامة)[٦]، و(اللَّعِبُ واللَّعْبُ ضدُّ الجِدِّ...، وفي حديث

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /٥٣٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /٥٣٧.

(٥) يقول ابن أبي العز في تعظيم الأمر: (فأول مراتب تعظيم الأمر: التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به، والحذر عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورًا، بحيث لا يتوقف الإتيان به على معرفة حكمته - فإن ظهرت له فعله وإلا عطله - فإن هذا ينافي الانقياد، ويقدح في الامتثال) شرح العقيدة الطحاوية/٢٦١.

(٦) معجم مقاييس اللغة ٥/٢٥٣-٢٥٤.

تَميم والجَسَّاسَة[1]: "صَادَفْنَا البحرَ حينَ اغْتَلَمَ فلَعِبَ بنا المَوْجُ شهرًا" سَمَّى اضطراب المَوْجِ لَعِبًا لمَّا لم يَسِرْ بهم إلى الوَجْهِ الذي أَرادوه, ويقال لكل مَن عَمِلَ عملًا لا يُجْدي عليه نَفْعًا: إنما أَنْتَ لاعِبٌ)[2].

وأما "اللهو" في اللغة فـ(اللام والهاء والحرف المعتلّ أصلانِ صحيحان: أحدهما يدلُّ على شُغْلٍ عن شَيْءٍ بشيء، والآخر على نَبْذِ شيءٍ من اليد. فالأوَّل اللَّهْو، وهو كلُّ شيءٍ شَغَلَكَ عن شيءٍ، فقد ألهاكَ. ولَهَوْتُ من اللَّهْو، ولَهِيتُ عن الشَّيء: إذا تركتَهُ لِغيرِهِ...)[3]. وقيل: (اللَّهْو: ما لَهَوْتَ به ولَعِبْتَ به وشَغَلَكَ مِنْ هَوًى وطَرَبٍ ونحوهما...)[4].

وفي ضوء ذلك عرَّف المفسرون اللَّعب اصطلاحًا بأنه: (طلبُ الفرح بما لا يَحسُن أن يُطلب به؛ لخلوّه عن منفعة دينية)[5]، واللَّهو بأنه: (صرفُ القلب إلى ما لا يحصل به نفعٌ أخروي)، وعمَّم بعضهم فقال: (واللهو: كلُّ ما صدَّ عن الحق، واللعب: كلُّ أمرٍ باطل...)[6]، فيكون كلُّ لهوٍ لعبًا، وقد نُقل ذلك عن مجاهد[7]وغيره.

ومما سبق يمكن تعريف اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا بأنه: انصراف القلب عن معرفة الله وتعظيمه ومحبَّته وتصديق خبره، وانصراف الجوارح عن إقامة شعائر دينه أو بعضها، وانشغالها بما لا منفعة فيه.

المطلب الأول: أسباب القدح في الدين باتخاذه لهوًا ولعبًا

ما من خلل أو قصور من الناس مع دينهم الحق وعدم إقامته على الوجه المطلوب إلا وله أسباب ظاهرة أو باطنة أدَّت إليه وأوقعت فيه، واتخاذ الدين لهوًا ولعبًا له أسباب يمكن التعرُّف عليها من خلال التأمل في ألفاظ الآيتين في ظلِّ ما ذكره المفسرون في تفسيرهما، فمنها:

السبب الأول: الاغترار بالحياة الدنيا:

وقد جاء التنصيص على هذا السبب في الآيتين كليهما، ففي آية سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وفي سورة الأعراف قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الأعراف: ٥١]، فاغترارهم بالحياة الدنيا وانخداعهم بها متضمِّنٌ لانشغالهم بزخرفها الزائل عن إقامة دينهم الحق وحمايته، وتعلُّقهم بها وركونهم إليها صَرَفَهم عن الاستعداد

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجسَّاسة، برقم (٢٩٤٢)، ٤/٢٢٦١.

(٢) لسان العرب ١٢/٢٨٧-٢٨٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٢١٣.

(٤) لسان العرب لابن منظور ١٢/٣٤٧-٣٤٩

(٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/١٣١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣/١٤٨، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٣/١٥.

(٦) محاسن التأويل للقاسمي ٧/٢٦٩٦.

(٧) تفسير ابن أبي حاتم ٥/١٤٩٢.

لآخرتهم الباقية؛ فجرَّأهم على التقصير في إقامته والوقوع في المحرَّمات بلا مبالاة، ولا خوف من عواقب ذلك.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، (... فأعرضْ عنهم، فإني لهم بالمرصاد، وإني لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا، ونسيانهم المعادَ إلى الله تعالى ذكره والمصيرَ إليه بعد الممات)[١]، وقال ابن عطية[٢]: (...﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: خدعتهم بزخرفها؛ واعتقادهم أنها الغاية القصوى؛ ويحتمل أن يكون اللفظ من "الْغَرّ"؛ وهو ملء الفم؛ أي: أشبعتهم وأبطرتهم)[٣]، وقال فخر الدين الرازي معلِّلًا ذلك الاغترار: (لأن الإنسان يطمع في طول العمر، وحسن العيش، وكثرة المال، وقوة الجاه؛ فلشدَّة رغبته في هذه الأشياء يصير محجوبًا عن طلب الدين غرقًا في طلب الدنيا)[٤]، وقال ابن كثير: (ثم وصف تعالى الكافرين بما كانوا يعتمَّدونه في الدنيا باتخاذهم الدين لهوًا ولعبًا واغترارهم بالدنيا وزينتها وزخرفها عمَّا أُمروا به من العمل للآخرة)[٥]، وقال البقاعي[٦]: (قَوْلُهُ :﴿وَغَرَّتۡهُمُ﴾ أيْ: في فِعْلِ ذَلِكَ ﴿ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ أيْ: بِما فِيها مِنَ الأعْراضِ الزّائِلَةِ مِن تَأْمِيلِ طُولِ العُمْرِ والبَسْطِ في الرِّزْقِ ورَغَدِ العَيْشِ حَتّى صارُوا بِذَلِكَ مَحْجُوبِينَ عَنْ نَظَرِ مَعانِيها وعَمَّا دَعا إلَيْهِ تَعالى مِنَ الإعْراضِ عَنْها فَلَمْ يَحْسِبُوا حِسابَ ما وراءَه.)[٧].

ومن خلال ما سبق يظهر لنا: أن الاغترار بالحياة الدنيا سببٌ لاتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وهو على حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون ذلك الاغترار بالحياة الدنيا أصلًا في العبد، وشاملًا لحياته كلها؛ فلا يريد إلا إياها، ولا يعمل إلا لها، فيلهو ويلعب بزخرفها، ويُصْرَف بذلك عن التعرُّف على الدين الحق والإقرار به، فلا يُسْلم فيبقى كافرًا، أو يكون قد أسلم فتفتنه الدنيا عن دينه بالوقوع فيما ينقضه فيرتد ويكفر بذلك، فيخسر دنياه وأخراه، وعليه يُحمل مثل قوله تعالى:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]، ونحوها من الآيات البيّنات، قال ابن عطية: (وقوله: ﴿لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ [الأنعام: ٧٠] يريد: إذ يعتقدون أن لا بعث؛

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٩/٣١٩.

(٢) هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، الغرناطي، مفسر فقيه، أندلسي، ولد سنة٤٨٠هـ وقيل: توفي سنة ٥٤١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٥٨٧-٥٨٨، الأعلام للزركلي ٣/٢٨٢.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٣٠٥.

(٤) مفاتيح الغيب ١٤/٩٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٣٨١.

(٦) هو: أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ولد سنة ٨٠٩هـ في سهل البقاع في لبنان، سكن دمشق، وتوفي بها سنة ٨٨٥ هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١/٥٦.

(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٨/٤٠٩.

فهم يتصرَّفون بشهواتهم تصرُّف اللاعب واللاهي)[1]، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[2].

الحالة الثانية: أن يكون ذلك الاغترار بالحياة الدنيا فيما دون ذلك، كمن شُغل بملذَّاتها وشهواتها عن امتثال بعض الأوامر واجتناب بعض النواهي مع الإقرار بالوجوب والتحريم، ولكن غلبته نفسه بهواها، والشيطان بتزيينه، فينقص بذلك كمال دينه ولا يزول أصله.

السبب الثاني: ضعف اليقين بأحقيَّة الدين:

لمَّا ضعف تصديقهم ويقينهم بدينهم الحق أدَّى ذلك إلى ضعف التعظيم له فتخاذلوا عنه؛ واتخذوه لهوًا ولعبًا، ولو صَدَقوا الله فيه، وأيقنوا به؛ وأنه حقٌّ من عند الله، وأن رسوله صادق في تبليغه، وأن في اتِّباعه صلاح الدنيا وفلاح الآخرة لَعَظُمَ في قلوبهم؛ فصلحت واستسلمت؛ وتبعتها الجوارح بالانقياد والاتِّباع، ثم لجاهدوا النفوس على استكماله وحمايته من كل ما يشوبه فيبقى صحيحًا كاملًا.

وفي آخر آيتي الأعراف إشارة إلى ذلك في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾[الأعراف: ٥١]، قال الواحدي[3]: (أي: وكما جحدوا بآياتنا ولم يصدِّقوها)[4].

وضعف اليقين ذنب عظيم مؤثر في تعظيم الدين وامتثاله، وإذا تطوَّر بصاحبه قد يصل به إلى الشك في أصل الدين وثبوته، أو في بعض شعائره العظام!، وهذا يُدخله في الكفر الأكبر، نعوذ بالله من ذلك!؛ فيكون لضعف اليقين حالتان:

الأولى: ما سبق ذكره آنفًا، وهو أنه يدبُّ ضعف اليقين في العبد فيبقى عليه أو يتطوَّر به، وهو في الأصل مسلم.

الثانية: أن يكون العبد غير مسلم أصلًا؛ فلا إقرار لديه بالدين الإلهي ولا يقين، أو يكون شاكًّا في أصله وثبوته وأحقيَّته فيزيد بذلك كفرًا على كفر.

السبب الثالث: التهاون في الامتثال للدين[5]:

فالعباد إذا تهاونوا بالدين فلم يستسلموا وينقادوا له كاملًا؛ تصديقًا بالرسول وما جاء به، وكانوا يأخذون منه بعضًا ويتركون بعضًا فذلك طريق التلاعب بالدين، فيصبح الدين – بتعاليمه وأحكامه – تابعًا للأهواء والأغراض،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٠٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم (١١٨)، ١١٠/١.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، وهو تلميذ الثعلبي صاحب التفسير، توفي بنيسابور سنة ٤٨٦هـ ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١٨-٣٤٢ وفيات الأعيان ٣٠٣/٣-٣٠٤.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٩٦/٨.

(٥) ملحوظة: من الأسباب ما يبرز ويثبت حتى يكون صورة مستمرة لاتخاذ الدين لهوًا ولعبًا كهذا السبب.

وذلك مثل ما استنكره الله على أهل الكتاب وذمَّهم به في قوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، فَتَبِعَ ذلك أن تلاعبوا بدينهم وحرَّفوا الكلم عن مواضعه واشتروا به ثمنًا قليلًا!؛ فحرَّموا وحلَّلوا، وقدَّموا وأخَّروا، وابتدعوا وأشركوا!.

ولو أنهم أخذوا دينهم بصدق وقوة في استسلام القلوب وامتثال الجوارح لأُغلقتْ على الشيطان وأتباعه أبوابُ التهاون والتخاذل ثم اللهو والتلاعب ثم التَّرك، وما تُرك من الدين شيءٌ إلا أُحدث غيرُهُ مكانه، وبذلك تضيع الأديان، وتندرس معالمها الحقيقية!، وصدق الله إذ قال في أهل الكتاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣].

المطلب الثاني: صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه خمس صور

الصورة الأول: عدم الانقياد والاستسلام للدين وشرائعه:

والمقصود بهذه الصورة: أن قلوبهم وجوارحهم لهت عن التصديق والقبول له، والعمل به كله، ولعبت فلم تُقِمْه حقَّ القيام.

ومما يشار إليه: أنه جاء في كلا الآيتين من سورتي الأنعام والأعراف إضافة الدين إليهم؛ وذلك يقتضي وجوب التزامه والقيام به، وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي، وعدم الترك لها أو التراخي في إقامتها أو التخيير في ذلك امتثالًا وتركًا، قال ابن عطية: (وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أضيف الدين إليهم من حيث قولهم أن يلتزموه؛ إذ هو دين الله من حيث أَمَرَ به، ودين جميع الناس من حيث أُمِروا به)[1].

ومن أدلة هذه الصورة من أقوال المفسرين ما ذكره الزمخشري[2] في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]: (أي: دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبًا ولهوًا، وذلك أن عبدة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك، من باب اللعب واللهو واتِّباع هوى النفس والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد)[3]، وقال ابن عطية في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا﴾ أي: بالإعراض والاستهزاء لمن يدعوهم إلى الإسلام)[4]، وقال الرازي: (وفيه وجهان:

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٠٧/٢.

(٢) هو: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، كان مولده سنة ٤٦٧هـ، وكان كبير المعتزلة وأظهر الاعتزال في تفسيره، توفي سنة ٥٣٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥١/٢٠-١٥٦، والبداية والنهاية ٢١٩/١٢.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣٣٢/٧.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٠٧/٢.

الوجه الأول: أن الذي اعتقدوا فيه أنه دينهم، تلاعبوا به، وما كانوا فيه مجدّين،....)[1]، وقال الألوسي[2]: (الَّذِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعالى بِهِ أوِ الَّذِي يَلْزَمُهُمُ التَّدَيُّنُ بِهِ، ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾فَلَمْ يَتَدَيَّنُوا بِهِ،...)[3]، وقال ابن سعدي[4] في قوله تعالى: (﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾أي: لهت قلوبهم وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سُخريًّا،...)[5].

ولذلك جاءت النصوص الشرعية آمرةً بالانقياد والامتثال للدين كله عقيدةً وشريعةً، باطنًا وظاهرًا، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، **وقَالَ تَعَالَىٰ**:﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، **وقَالَ تَعَالَىٰ**:﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، ونفى الله الإيمان عمَّن لم يكن كذلك فقال:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وذلك إذ (المقصود من العباد، أن يخلصوا لله الدين: بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبذلوا مقدورهم في مرضاته ومحابّه، وذلك متضمّن لإقبال القلب على الله وتوجُّهه إليه، وكون سعي العبد نافعًا وجِدًّا لا هزلًا، وإخلاصًا لوجه الله لا رياءً وسمعةً، هذا هو الدين الحقيقي، الذي يقال له "دين"، فأما من زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينَه لعبًا ولهوًا: بأن لَهَا قلبُه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، ولَهَا في باطله، ولعب فيه ببدنه، لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله فهو لعب، فهذا أَمَر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتنظر حاله، ويحذر من أفعاله، ولا يغتر بتعويقه عما يقرب إلى الله)[6].

وعدم الاستسلام للدين وتعاليمه له حالتان:

الحالة الأولى: أن يترك الشعائر كلَّها أو بعضها أبدًا فلا يمتثل القيام بها!، ولها صورتان:

الأولى: ترك الشعائر كلها وارتكاب المحرمات، فذلك تركٌ للدين وشريعته، وهو دليل على عدم تصديق القلب ويقينه واستسلامه؛ وذلك كفر مخرج من الملة.

---

(١) مفاتيح الغيب ٩٩/١٤.

(٢) هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، أديب، من أهل بغداد، ولد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١٧٦/٧-١٧٧.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١٢٦/٨.

(٤) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في "عنيزة" بالقصيم، ولد سنة ١٣٠٧هـ وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٣٤٠/٣ وعلماء نجد خلال ثمانية قرون لعبدالله البسام ٢١٨/٣-٢٧٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /٢٩٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /٢٦١.

الثانية: ترك بعض الشعائر مع اعتقاد وجوبها فحكمه على حسب مكانة تلك الشعيرة من الدين، وكذلك الوقوع في المحرمات المجمع على تحريمها إذا كان استحلالًا فهو كفر أكبر مخرج من الملة، على خلاف الوقوع فيها عن هوى وشهوة، وكل ذلك على وجه العموم، وأما الأعيان فلهم أحكام خاصة حسب توافر الشروط وانتفاء الموانع.

الحالة الثانية: عدم الانقياد الدائم لبعض شعائره الثابتة تهاونًا وكسلًا، بمعنى: أنه يفعل الشعيرة أحيانًا ويترك أحيانًا مع اعتقاد الثبوت والوجوب؛ فيختلف الحكم في ذلك ويتردد بين الكبيرة والكفر؛ حسب مكانة تلك الشعيرة من الدين وظهور أدلتها كالصلاة، وكذلك في جانب المحرمات إذا كان الوقوع فيها عن هوى وشهوة مع الإقرار بالتحريم فيكون كبيرة(١).

الصورة الثانية: الاستهزاء بالدين:

وذلك يشمل الاستهزاء والسخرية بأخباره وعقائده، وشرائعه وشعائره، ورسوله المبلِّغ له، وآله وأصحابه، ودعاته المؤمنين لأجل دينهم واتِّباعهم، ويغلب على ذلك الاستهزاء دافعُ التكذيب(٢)، أو الشك(٣)، أو الإباء ونحوها؛ لأن ذلك الاستهزاء لا يُتصوَّر من قلبٍ رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبالنبي رسولًا.

وأما الدلالة على أن هذه الصورة من اللهو واللعب بالدين فمن خلال كلام المفسرين في آيتي اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، فمن ذلك قول ابن جرير في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]: (يقول -تعالى ذكره- لنبيّه محمد ﷺ: ذَرْ هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبًا ولهوًا، فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته، واللهوَ والاستهزاء بها إذا سمعوها وتُليت عليهم...)(٤)، وقال في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ [الأعراف: ٥٠-٥١]: (... الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهوًا ولعبًا، يقول: سُخرية ولعبًا ...)، وأُسند إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: (وذلك أنهم كانوا إذا دُعوا إلى الإيمان سَخِروا ممن دعاهم إليه وهزؤا به اغترارًا بالله)(٥)، وقال الماوردي(٦) في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠]:

---

(١) ينظر: منهج ابن تيمية في التكفير د.عبدالمجيد المشعبي، والتكفير وضوابطه أد.إبراهيم الرحيلي، وضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة أد. عبدالله محمد القرني، ونواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف د. محمد بن عبدالله الوهيبي.

(٢) قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:٥].

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢٨/٥.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٠٩/٥-٥١٠.

(٦) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، توفي في بغداد سنة ٤٥٠هـ. ينظر:

(فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار الذين يستهزئون بآيات الله إذا سمعوها...)[1]، وقال الواحدي في قوله تعالى:﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ [الأنعام: ٧٠]: (يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها)[2]، وقال الزمخشري في الآية: (...واتخذوا دينهم الذي كُلِّفوه ودُعُوا إليه وهو دين الإسلام لعبًا ولهوًا، حيث سخروا به واستهزؤا) وذكر غير ذلك[3]، وقال ابن الجوزي في الآية نفسها: (... وفي اتخاذهم دينهم لعبًا ولهوًا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه استهزاؤهم بآيات الله إذا سمعوها...)[4]، وقال الرازي: (واعلمْ أنه تعالى أمر الرسول بأن يترك من كان موصوفًا بصفتين: الصفة الأولى: أن يكون من صفتهم أنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وفي تفسيره وجوه: الأول: المراد أنهم اتخذوا دينهم الذي كُلِّفوه ودُعُوا إليه وهو دين الإسلام لعبًا ولهوًا حيث سخروا به واستهزؤا به...)[5].

ولمَّا كانت هذه الصورة عظيمة الخطر على صاحبها جاءت الآيات القرآنية ناهيةً وذامَّةً للاستهزاء والسخرية بالدين وكتابه ورسوله وأتباعه، ومجرِّمةً ومكفِّرةً بذلك[6]، ومِن أجمع ما ورد في ذلك قوله تعالى في المنافقين: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وهذا الاستهزاء والسخرية بالدين وآياته ورسوله له أحكام عامة وخاصة:

فأما على وجه العموم والإطلاق فيقال: إن الاستهزاء والسخرية بالله وآياته ودينه ورسوله كفر أكبر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

سير أعلام النبلاء ١٨/٦٥-٨٦، والبداية والنهاية ١٥/٧٦٢.

(١) النكت والعيون للماوردي ٢/١٣٠.

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٧/٣٦٠.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٧/٣٣٢.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٢/٤٢.

(٥) مفاتيح الغيب ١٣/٢٣.

(٦) وقال تعالى: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٤٠، هود:٨، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

وأما على وجه الخصوص، بمعنى صدوره من شخص معيَّن فيقال: لا بد من النظر في توافر الشروط، وانتفاء الموانع، والتفريق بين المسائل: فمن المسائل ما لا يُتصوَّر استهزاء العبد وسخريته فيها بعد إسلامه كالاستهزاء والسخرية بالله والرسول والكتاب!، فلا يكون ذلك إلا بذهاب أصل دينه وارتداده أو زوال عقله أو إكراه معتبر، ومنها ما هو دون ذلك من الأخبار والشعائر والأحكام، وهي متفاوتة في الحكم بالاستهزاء والكفر على حسب اشتهار أدلتها وبلوغها وفهم المستهزئ لها.

وأما الاستهزاء والسخرية بالأتباع: فإن كان الاستهزاء بهم لأجل دينهم، وتمسُّكهم به فكفر أكبر، وإن كان لغير ذلك من أهواء النفس فكبيرة من الكبائر(١).

الصورة الثالثة: التحريف والتبديل في نصوص الدين وتعاليمه:

والمراد بهذه الصورة الجرأة على نصوص الوحي بالتغيير زيادةً ونقصًا، أو ليًّا لها بالألسن، أو كتمانًا للحق الذي فيها ليوافق ما يهوونه من المخالفة، وهذا طريق لتحليل الحرام وتحريم الحلال، وهو مِن أظهر صور اللهو واللعب بالدين وأخطرها!؛ فإنهم – بهذه الجرأة – أذنوا لأنفسهم أن يأخذوا منه ما شاءوا، ويتركوا ما شاءوا، ويُحْدِثوا ما شاءوا، ويُخفوا ما شاءوا، ولم يُبقوا دين الله كما أُنزل!.

وهذه الصورة ظهرت بارزةً وممثَّلًا لها في أكثر أقوال المفسرين على الآيتين، قال الرازي في تفسير آية الأعراف: (واعلمْ أنه تعالى أمر الرسول بأن يترك من كان موصوفًا بصفتين:

الصفة الأولى: أن يكون من صفتهم أنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا وفي تفسيره وجوه: ... الثالث: أن الكفار كانوا يحكمون في دين الله بمجرد التشهِّي والتمنِّي مثل تحريم السوائب والبحائر, وما كانوا يحتاطون في أمر الدين البتَّة ويكتفون فيه بمجرد التقليد, فعبَّر الله تعالى عنهم أنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا....)(٢)، وقال البيضاوي(٣) في قوله تعالى:﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ [الأنعام: ٧٠]: (أي: بنوا أمر دينهم على التشهِّي وتديُّنٍ بما لا يعود عليهم بنفعٍ عاجلًا وآجلًا كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب)(٤)، وقال أبو السعود(٥) في قوله تعالى:﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا ﴾ [الأنعام: ٧٠] (... أو بنوا أمر دينهم على ما لا يكاد

---

(١) ينظر في الاستهزاء: كلام المفسرين على آية سورة التوبة ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ ونحوها، وأبواب الردة في كتب الفقه.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٣/١٣.

(٣) هو: ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي قاضي القضاة البيضاوي نسبة إلى البيضاء بأرض فارس، الشافعي، توفي سنة ٦٨٥هـ وقيل غير ذلك. ينظر: البداية والنهاية ٦٠٦/١٧، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١٨٥/٧.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٧/٢.

(٥) هو: أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى، مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد سنة ٨٩٨هـ، وتوفي سنة٩٨٢هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ٥٩/٧، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢٦١/١.

يتعاطاه العاقل بطريق الجد, وإنما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الأصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك)[1]، وقال الألوسي: (الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله تعالى به أو الذي يلزمهم التديُّن به لهوًا ولعبًا فلم يتديَّنوا به أو فحرَّموا ما شاءوا، واستحلُّوا ما شاءوا)[2].

وهذا العمل مما أنكره الله في كتابه على أهل الكتاب وذمَّهم به فقال في التحريف: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، فكان بالتحريف في الكتاب تركُ بعض تعاليم وشرائع الدين!، وقال في الليّ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، فكان بالليّ إدخال ما ليس من الكتاب في الكتاب!، وقال في الكتمان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]، فكان بالكتمان إخفاء شيء من الحق الذي يمنعهم من شهواتهم!.

والتحريف في نصوص الوحي بزيادة أو نقصان كفر عظيم، وذنب كبير أنكره الله أشدَّ الإنكار على أهل الكتاب وتوعَّد عليه؛ لما فيه من جرأةٍ على كتاب الله ودينه وتضليلٍ لخلقه حيث قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وهذا في شأن المحرِّفين أنفسهم، وأما المتبعون لمحرِّفي كلام الله ومبدِّلي شرعه فعلى قسمين:

القسم الأول: العالمون بذلك التحريف، الراضون به، المتبعون له، والجاعلون إياه دينًا لهم فلهم حكم أولئك المحرِّفين من أئمتهم من الكفر وزوال أصل الإيمان.

القسم الثاني: الذين لا يعلمون بذلك التحريف لجهلهم أو يعلمون ولكنهم اتَّبعوا أئمَّتهم شهوةً وهوًى لا اعتقادًا في تحليل حرام وتحريم حلال فلهم حكم مرتكبي الكبائر[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٤٨/٣.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٦٢/٨.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٧ /٧٠، وقال الإمام ابن باز في شرح حديث عدي بن حاتم الطائي: (فالمعنى أن طاعة العلماء في تحريم الحلال وفي تحليل الحرام واعتقاد أن هذا جائز مع العلم بأنه خلاف شرع الله يكون عبادة لهم، أما إذا فعل ذلك جهلًا منه ما يكون عبادة لهم، إنما هذا إذا اعتقد ذلك واستحل ذلك فإنه يكون عابدًا لهم، ويكون كافرًا نسأل الله العافية.

أما ما يقع من الناس جهلًا من غير علم، وغير بصيرة ويتبع العلماء في شيء يظنه حقًّا، ويظنه دينًا، ولا يعلم أنه مخالف لشرع الله

ومما يدخل في هذه الصورة: ما تفعله المذاهب والفرق الباطنية من صرفِ للناس عن ظاهر نصوص الدين وتعاليمه وشعائره إلى معانٍ باطنية لم ينزل الله بها سلطانًا مع ادعاء كتب ونصوص أخرى لديهم، وهذا فيه تحريف لأصل الدين عقيدة وشريعة، وليس لبعض شعائره فحسب، ولا شك أن هذا كفر أكبر مخرج من الملة وارتداد عن دين الإسلام، وكلام أهل العلم ظاهر في ذلك وبيّن، قال ابن الجوزي: (الباطنية قوم تستَّروا بالإسلام، ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم: تعطيل الصانع، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث، ولكنهم لا يُظهرون هذا في أول أمرهم!، بل يزعمون أن الله حق، وأن محمدًا رسول الله، والدين صحيح، لكنهم يقولون لذلك سرٌّ غير ظاهر، وقد تلاعب بهم إبليس؛ فبالغ وحسَّن لهم مذاهب مختلفة)[1]. وقال الرازي: (ومقصودهم على الإطلاق: إبطال الشريعة بأسرها ونفي الصانع، ولا يؤمنون بشيء من الملل، ولا يعترفون بالقيامة إلا أنهم لا يتظاهرون بهذه الأشياء إلا بالآخرة)[2].

ومما يشار إليه ما تجاسرت عليه الفرق الكلامية المعطِّلة للأسماء والصفات أو بعضها من تأويل النصوص المثبتة لها على ما يليق بالرب تعالى؛ خشية التشبيه وادعاء التنزيه!، وذلك بصرف النص الشرعي عن ظاهره إلى معنى آخر بلا قرينة معتبرة، وهو التأويل المذموم، والذي حقيقته التحريف![3].

قال ابن تيمية: (وأما التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحريف والبدع، الذين يتأوَّلونه على غير تأويله، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معانٍ هي نظير المعاني التي نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإن كان الثابت حقًّا ممكنًا كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلًا ممتنعًا كان الثابت مثله)[4].

فهذا لا يكون من هذا الباب، ولا يكون عبادة لهم؛ لأن الإنسان يخطئ ويصيب، قد يتبع عالما في فتواه، ويأخذ بفتواه، ويظن أنها صواب، ويعتقد أنها صواب، فلا يدخل في هذا الوعيد، إنما هذا الوعيد فيمن استحل محارم الله بفتوى زيد أو عمرو، هذا هو الذي يدخل في هذا الوعيد، ويكون عابدًا لمن قلده في ذلك، واتبعه في ذلك؛ لأنه قدمه على شرع الله وهو يعلم، وهو عامد، ولهذا استحق هذا الوعيد، نعوذ الله) شرح كتاب التوحيد/١٩٤.

(١) تلبيس إبليس /١٣١.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين /١١٩، وانظر نحوه: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية٣٥/١٤٩.

(٣) ينظر: جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية د. محمد أحمد لوح.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/٦٧، وقال رحمه الله: (الأقوال نوعان: أقوال ثابتة عن الأنبياء، فهي معصومة، يجب أن يكون معناها حقًّا، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، و البحث عنها إنما هو عما أرادته الأنبياء، فمن كان مقصودة معرفة مرادهم من الوجه الذي يعرف مرادهم فقد سلك طريق الهدى، ومن قصد أن يجعل ما قالوه تبعًا له، فإن وافقه قبله وإلا ردَّه، وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلًا، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيرًا من ذلك أو أكثره لم ترده الأنبياء، فهو محرف للكلم عن مواضعه، لا طالبٌ لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم .

النوع الثاني: ما ليس منقولًا عن الأنبياء، فمن سواهم ليس معصومًا، فلا يقبل كلامه ولا يرد إلا بعد تصور مراده، ومعرفة صلاحه من فساده...) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/١٩١، وينظر: مختصر الصواعق المرسلة ١/٢٤٦.

الصورة الرابعة: التقرب إلى الله باللهو واللعب تدينًا

والمراد بهذه الصـــورة: أن يُحدث الناس أمورًا من اللهو واللعب كما يفعلون في أعيادهم وغيرها، ويجعلون ذلك دينًا وقربةً إلى الله، وله حالتان:

فالأولى: أن يُحدثوا دينًا من عند أنفسـهم، ويجعلونه قائمًا على اللهو واللعب في أعيادهم ومناسـباتهم وغيرها، وهذا ظاهر بيّن في الأديان الوضعية.

والثانية: أن يُحدثوا في دين الله الحق أمورًا تشتمل على اللهو واللعب، ويجعلونها مما يُتقرَّب به إلى الله.

ومما يدل على هذه الصـــورة ما ذكره المفســـرون من أن المراد بالدين في آيتي الأنعام والأعراف هو العيد، قال البغوي[١]: (وقيل: دينهم أي: عيدهم)[٢]، وقال ابن الجوزي: (ويقال: إنه ليس من قوم إلا ولهم عيد فهم يلهون في أعيادهم إلا أمة محمد ﷺ فإن أعيادهم صـلاة، وتكبير، وبر، وخير)[٣]، وقال الألوسـي: (وقيل: المراد بالدين العيد الذي يعاد إليه كل حين معهود بالوجه الذي شرعه الله تعالى كعيد المسلمين، أو بالوجه الذي لم يشرع من اللعب واللهو كأعياد الكفرة؛ لأن أصـــل معنى "الدين" العادة، والعيد معتاد كل عام...)[٤]، وقال ابن عاشـــور[٥]: (أي: اتَّخذُوه لعبًا ولهوًا، أي: جعلوا الدين مجموع أمور هي من اللعب واللهو، أي: العبث واللهو عند الأصـــنام في مواسمها، والمكاء والتصـــدية عند الكعبة...)[٦]، وذكر: (أنَّ أعمال المتَّقين في الدنيا هي ضـــدُّ اللعب واللهو، لأنَّهم جُعلت لهم دار أخرى هي خير، وقد عُلم أنَّ الفوز فيها لا يكون إلا بعمل في الدنيا فأنتج أنَّ عملهم في الدنيا ليس اللهو واللعب وأنَّ حياة غيرهم هي المقصورة على اللهو واللعب)[٧].

ولأجل ذلك جاءت النصـوص الشـرعية في الدين العظيم ناهيةً عن أعياد المشـركين، ومبيّنةً لأعياد المسـلمين، وداعيةً للزومها، والمحافظة عليها، وجاعلةً زمنها يعقب مواســـم عبادات جليلة: كعيد الفطر من رمضـــان، وكعيد الأضـحى في أيام الحج، ومشـرِّعةً في تلك الأعياد أنواعًا: من العبادة، والذكر، وشـيء من المباح، فتوسَّـطت بذلك فلم تكن الأعياد كلها عبادات وقربات لا فسحة فيها ولا فرح للمؤمن، ولم تكن كلها مباحًا من اللهو واللعب، بل شمل تشريعها غذاء الجسد وغذاء الروح، قال البغوي في آية الأنعام: (... وقيل: إن الله تعالى جعل لكل قوم عيدًا،

---

(١) هو: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، توفي سنة٥١٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩-٤٤٢، والبداية والنهاية ٢٦٢/١٦.

(٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٤٧٩/٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤٢/٢.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٨٦/٧.

(٥) هو: محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة، ولد ١٢٩٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام للزركلي ١٧٤/٦.

(٦) التحرير والتنوير ٢٩٥/٧.

(٧) التحرير والتنوير ١٩٤/٧-١٩٥.

فاتخذ كل قوم دينهم – أي: عيدهم – لعبًا ولهوًا، وعيد المسلمين: الصلاة، والتكبير، وفعل الخير، مثل: الجمعة، والفطر، والنحر...)[1].

وعلى ذلك تدل النصوص, فمنها: حديث أنس ﷺ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: (ما هذان اليومان؟) قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية!، فقال: (إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر)[2]، وعند مسلم من حديث نبيشة الخير الهذلي[3] قال: قال رسول الله ﷺ: (أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله)[4].

ومِن صور ذلك ما أحدثه أهل الكتاب في دينهم، وهو ظاهر عند النصارى من إدخال أعياد في دينهم غير مشروعة، بل مشتملة على الشرك والفعل الحرام؛ فزادوا ضلالًا على ضلالهم!، يقول الزمخشري: (وقيل: جعل الله لكل قوم عيدًا يعظِّمونه ويصلُّون فيه ويعمرونه بذكر الله، والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبًا ولهوًا غير المسلمين، فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله)[5]، ويقول ابن تيمية: (وكل عاقل يعلم أن النصارى أعظم الملل جهلًا وضلالة، وأبعدهم عن معرفة المعقول والمنقول، وأكثر اشتغالًا بالملاهي وتعبدًا بها)[6].

ومن صور ذلك ما كان يفعله مشركو الجزيرة قبل البعثة من أحوال مبتدعة، يزعمون التقرب بها إلى الله، فمن ذلك: ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]، قال ابن سعدي: (وأما هؤلاء المشركون الذين يصدُّون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي أكبر أنواع العبادات﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ أي: صفيرًا وتصفيقًا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات؟)[7].

ومن صور ذلك في هذه الأمة ما يفعله المبتدعة من المتصوفة الغالية وغيرهم من الطوائف المبتدعة من اختلاق

---

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل ٢/٣٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود في أبواب الجمعة، باب: الصلاة بعد الجمعة، برقم (١١٣٤)، ١/٢٩٥ وصححه الألباني في صحيح أبي داود١/٣١١.

(٣) هو: ابن عمرو بن عوف، وقيل: ابن عبد الله بن عمرو بن عوف بن الحارث، سكن البصرة، ويقال: إنه دخل على النبي ﷺ وعنده أسارى فقال: يا رسول الله إما أن تفاديهم وإما أن تمن عليهم، فقال: (أمرت بخير أنت نبيشة الخير). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٦/٣٣١ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/٢٩٤.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب: تحريم صوم أيام التشريق، برقم (١١٤١) ٢/٨٠٠.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٧/٣٣٢، وانظر مفاتيح الغيب للرازي ١٣/٢٣.

(٦) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٤١٤.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /٣٢٠، وينظر: المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية لمحمد بن عبدالوهاب درسها وحققها وشرحها د. يوسف محمد السعيد ١/٣-٣-٣٠٦.

أعياد ومناسبات، ثم تشريع الاجتماع فيها، والتقرب إلى الله فيها بأنواع من اللهو واللعب كالغناء والرقص ونحوهما، وقد أشار القرطبي عند تفسير آية سورة الأنفال السابقة إلى ذلك حيث قال: (ففيه ردٌّ على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ويصعقون؛ وذلك كله منكر يتنزَّه عن مثله العقلاء، ويتشبَّه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت)[1].

وقد اختلقوا لذلك آثارًا يعتمدون عليها ويصدُّون بها عن الحق، يقول ابن تيمية فيما اختلقوه من الآثار وفيما وقعوا فيه: (وتارةً يجعلونها حجة في الإعراض عن كتاب الله وسُنَّة نبيّه إلى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهوًا ولعبًا.

وبالجملة: قد عُرف بالاضطرار من دين الإسلام: أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعُبَّادهم وزُهَّادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف...)[2].

وهنا مسألتان!:

أولاهما: ما حكم تلك الأعياد من حيث إحداثها في الدين الحق وجعلها من شعائر الدين ومعالمه ثم التقرب بها إلى الله؟، والجواب: أنها بدعة محرمة؛ إذ لا دليل ينص عليها؛ ولما اشتملت عليه من أمور محدثة؛ ولما فيها من مشابهة لأهل الكتاب بكثرة إحداثهم للأعياد؛ ولما تفضي إليه من فتح باب الابتداع في الدين، ويعمُّها قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وقوله ﷺ: (مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ)[3].

ثانيهما: ما حكم ما اشتملت عليه تلك الأعياد من اللهو واللعب؟ والجواب أن له حالتين:

الحالة الأولى: أن تكون تلك الأمور المحدثة في الأعياد متضمِّنة للإقرار والدلالة على شيء من الكفر والشرك فلها حكم ما دلت عليه, سواء كان كفرًا وشركًا أكبر أو أصغر، مثل ما يفعله النصارى من أحوال وطقوس تدل على ألوهية المسيح وبنوَّته ونحو ذلك، ومثل ما يفعله غيرهم من الغلو والإطراء في الرسول ﷺ والدعاء والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله.

الحالة الثانية: أن تكون تلك الأمور المحدثة مما هو دون ذلك فيكون حكمها مترددًا بين الكفر الأصغر والشرك الأصغر وبين الكبيرة، كالوقوع في بدع كفرية غير مكفرة أو شرك أصغر أو ارتكاب بعض المحرمات في أعيادهم من شرب للخمر ونحوه[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٤٠٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٥٦٥، وينظر: المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبدالوهاب درسها وحققها وشرحها د. يوسف محمد السعيد ١/٣٠٦-٣١٢.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧) /٤٤٠، ومسلم في كتاب الأقضية، باب: نَقْض الأَحْكام الباطلة وَرَدّ محدَثات الأمورِ، برقم (١٧١٨) ٣/١٣٤٣.

(٤) ومن صور ذلك من اتخاذ المبتدعة الدين لهوًا ولعبًا بما يحدثونه في أعيادهم ما ذكره أبوبكر الطرطوشي حيث قال: (ومما أحدثه المبتدعون، وخرجوا به عما وسمه المتشرعون، وجروا فيه على سنن المجوس، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا: الوقيد ليلة النصف من شعبان،

الصورة الخامسة: التزلف بالدين لنيل حظ من الدنيا:

والمراد بهذه الصورة: إظهار نصر الدين وتعاليمه عند الحُكَّام، وعِلْية القوم، وعموم الناس!؛ لما يُنال به من حظوظ وشهوات من الدنيا: كثناء من الناس، وتمكين برئاسةٍ ونحوها، وحصول على متاع من الدنيا، وذلك يتضمَّن: الرياء بإرادة الثناء من الناس، وأظهر منه إرادة حظ من الدنيا عاجل، ونظيره مَن كتمَ شيئًا من دين الله أو ترك العمل به رجاء بقاء حظ من الدنيا، ولا شك أن هذا من اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا!؛ لأنه اتُّخذ لنيل غرض من الدنيا، وفي ذلك عدم تعظيم له!، فلم يُنصر، ويُدعى إليه، وتُظهر معالمه لله إخلاصًا وتمكينًا!.

وممن ذكر هذه الصورة فخر الدين الرازي حيث قال في ذكره لبعض صور اللهو واللعب بالدين عند تفسيره لآية الأنعام: (واعلمْ أنه تعالى أمر الرسول بأن يترك من كان موصوفًا بصفتين:

الصفة الأولى: أن يكون من صفتهم أنهم اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، وفي تفسيره وجوه: ...)، وذكر منها: (والخامس: وهو الأقرب أن المحقق في الدين: هو الذي ينصر الدين لأجل أنه قام الدليل على أنه حق وصدق وصواب، فأما الذين ينصرونه ليتوسَّلوا به إلى: أخذ المناصب، والرياسة، وغلبة الخصم، وجمع الأموال؛ فهم نصروا الدين للدنيا!، وقد حكم الله على الدنيا في سائر الآيات بأنها لعب ولهو، فالمراد من قوله: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾[الأنعام: ٧٠] هو: الإشارة إلى من يتوسل بدينه إلى دنياه، وإذا تأملت في حال أكثر الخلق وجدتهم موصوفين بهذه الصفة وداخلين تحت هذه الحالة. والله أعلم...)[(١)].

ولذلك كانت دعوة الرسل -عليهم السلام- إلى دين الله صريحةً في ابتغاء ما عند الله، وأنهم لا يسألون الناس شيئًا؛ وإنما إخلاصًا لله، وامتثالًا لأمره، وتمكينًا لدينه في الأرض، وكلهم يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩]، حتى قال متبعوهم للناس: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: ٢١]، وجاءت نصوص القرآن الكريم ناهيةً لأهل الكتاب أن يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا!، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: ٤١]، قال ابن كثير: (وقيل: معناه: لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع بالكتمان واللبس لتستمروا على رياستكم في الدنيا القليلة الحقيرة الزائلة عن قريب)[(٢)].

وجاءت السُّنَّة النَّبويَّة مبيّنةً إفساد حب المال وطلب الشرف لدين المرء، ففي الحديث: (ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[(٣)]، وجاءت مخوِّفة ومتوعِّدة لمن طلب بعلمه

ولم يصح فيها شيء عن رسول الله ﷺ ولا نطق بالصلاة فيها والإيقاد صدوق من الرواة، وما أحدثه إلا متلاعب بالشريعة المحمدية راغب في دين المجوسية لأن النار معبودهم...) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة/٣٦.

(١) مفاتيح الغيب ٢٣/١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٤٩/١.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب: ما جاء في أخذ المال، برقم (٢٣٧٦) ٥٨٨/٤، وأحمد برقم (١٥٧٩٤) ٨٥/٢٥، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٥٣/٢، وينظر فيه: شرح حديث "ما ذئبان جائعان" للحافظ ابن رجب الحنبلي.

حظًّا من الدنيا، فإن العلم دين[١]، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (مَن تعلَّم علمًا مما يُبتغى به وجه الله -تعالى- لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)[٢]يعني: ريحها[٣].

واعلمْ أن حب الرئاسة والجاه: (من أضرِّ غوائل النفس وبواطن مكائدها، يُبتلى به العلماء والعباد والمشمِّرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات؛ عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل, فوجدت مخلصًا من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم يقتنع باطلاع الخالق -تبارك وتعالى- وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله وحده فأحببت مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعباداته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون؛ ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين: حب الرياسة)[٤].

وهنا يرد سؤال وهو: ما حكم من فعل ذلك من العلماء وغيرهم فأظهروا الدين وتزلَّفوا به إلى الحكام وعلية الناس لينالوا به حظًّا من الدنيا؟، والجواب: أن ذلك لا يخلوا من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون ذلك التزلف والطلب لحظوظ الدنيا بدءًا من أصل إسلامه ودخوله في دين الله، وهو أنه لا يبتغي به إلا حظًّا من الدنيا فذلك الشرك الأكبر المخرج من الملة والمخلد في النار، ومثله: من كان تزلفه هو الغالب على حياته، وهو ما يسمى بالرياء الأكبر.

الحالة الثانية: أن يكون ذلك قليلًا يسيرًا في بعض أحواله ومواقفه، فذلك يأخذ حكم الشرك والرياء الأصغرين[٥].

---

(١) كان سفيان بن عيينة يقول: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" مقدمة مسلم لصحيحه١/١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب: في طلب العلم لغير الله تعالى، برقم (٣٦٦٤) ٤/٧١، وبنحوه ابن ماجة في المقدمة، باب: ثواب معلم الناس الخير، برقم (٢٥٤) ١/٥١، وأحمد برقم (٨٤٥٧) ١٤/١٦٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٠٠) /٤٦، وينظر فيه: "اقتضاء العلم العمل" للخطيب البغدادي.

(٣) قال الإمام الآجريُّ: (فإنَّ الفتنَ على وجوهٍ كثيرة، وقد مضى منها فتنٌ عظيمةٌ، نجا منها أقوامٌ، وهلكَ فيها أقوامٌ باتباعِ الهوى، وإيثارِهم للدنيا، فمن أراد اللهُ به خيرًا فتحَ له بابَ الدعاءِ، والتجأَ إلى مولاه الكريم، وخافَ على دينِه، وحَفِظَ لسانَهُ، وعرفَ زمانَهُ، ولَزِمَ المحجَّةَ الواضحةَ السوادَ الأعظم، ولم يتلون في دينِه، وعَبدَ ربَّهُ تعالى، فتركَ الخوضَ في الفِتنة، فإنَّ الفتنةَ يفتضحُ عندها خلقٌ كثير، ألم تسمعْ إلى قولِ النبيِّ ﷺ وهو محذر أمتَه الفتن؟ قال: (يصبحُ الرجلُ مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبحُ كافرًا...) كتاب الشريعة ١/١٠.

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله٢/٩٢٥-٩٢٦.

(٥) ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ٢/٩٢٧، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢/٦٢٥.

المطلب الثالث: طرق معالجة اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا، وفيه عدة طرق

الطريقة الأولى: الإنذار وبيان المخالفة:

فإن من منهج الرسل – عليهم الصلاة والسلام – والعلماء والدعاة إلى الله تعالى إنذار المخالفين مما وقعوا فيه؛ وذلك ببيان الحق لهم بأدلته وبراهينه، وذكر حكم المخالفة وعاقبتها، فلا يتعجلون بإصدار الأحكام والعقوبات على من خالف الحق واتبع هواه حتى يبيّنوا له الحق وتقام عليه الحجة.

لأن كثيرًا ممن يقع في مخالفة الحق قد يجهل بعض الحق وأدلته أو يغفل!، فيكون بحاجة إلى من يعلّمه ويذكّره، وفي ذلك براءة للذمة، وإعذار إلى الله تعالى؛ وهذا الإنذار والإعذار هو الذي دلت عليه النصوص الشرعية وسار عليه الأئمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، وفي حديث معاذ ﷺ لما بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل الكتاب قال له: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكنْ أول ما تدعوهم إليه عبادة الله؛ فإذا عرفوا الله فأخبرْهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم؛ فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وتُردُّ على فقرائهم؛ فإذا أطاعوا بها فخُذْ منهم وتَوَقَّ كرائم أموال الناس)(١).

فمن وقع في صورة من صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا فإنه ينذر ويبيَّن له عظم ما وقع فيه مما يتنافى مع تعظيم هذا الدين وشعائره وتعاليمه، فيذكر له الحق بدليله ويوعظ ويخوف بالله لعله ينتهي، وهذا الإنذار والإنكار يكون على حسب حال ذلك المخالف من إسراره بالمخالفة وإعلانه: فمنهم من يُعلن له ذلك الإنذار كما أعلن مخالفته وأشهرها ودعا إليها، ومنهم من يُسِرُّ له به كما أسرَّ مخالفته.

قال الرازي: (ومعنى "ذَرْهُمْ" أعرضْ عنهم، وليس المراد أن يترك إنذارهم؛ لأنه تعالى قال بعده ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء:٦٣]، والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا يترك إنذارهم وتخويفهم)(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم (١٤٥٨) /٢٣٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩) ١/٥٠.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٨/١٣، وقال الإمام الشوكاني في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: (أي: اترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الذي كان يجب عليهم العمل به والدخول فيه لعبًا ولهوًا، ولا تعلق قلبك بهم؛

وقال ابن تيمية في الموقف من أئمة البدع من أهل المقالات أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّـنَّة: (فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلّي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين.

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء)[1].

فالواجب على العلماء والدعاة تأصيل هذا الدين في قلوب الناس: ببيان تعاليمه، وتعظيم شعائره، وأنه الحق، وبه التمكين في الدنيا والنجاة في الآخرة، وأنه ما فرطت أمة في دين الله وتركت حظًّا منه أو تلاعبت به إلا حلَّ عليها عقابُ الله كما حلَّ بمن قبلهم من الأمم الغابرة، وقد قصَّ الله علينا كثيرًا من نبأهم في القرآن الكريم.

الطريقة الثانية: الإعراض والهجر:

فالإعراض والهجر للذين يخوضون في آيات الله ويتخذون دينه لهوًا ولعبًا مطلب شرعي، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وكما ذكر الله عن رسوله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، وكما قال في أصحاب الكهف: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦]، وهذا الإعراض والهجر له حالتان:

حالة اختيارية: وهي عندما يكون الإعراض والهجر والاعتزال لهم ولأقوالهم وأعمالهم وأحوالهم مقدورًا عليه ومؤثرًا فيهم، ورادعًا لهم وعنهم، وإلى ذلك أشار المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، فقال ابن كثير: (أي: دَعْهم وأعرضْ عنهم وأمهلْهم قليلًا فإنهم صائرون إلى عذاب عظيم...)[2]، وقال الزمخشري: (ومعنى "ذرهم": أعرضْ عنهم، ولا تُبَالِ بتكذيبهم واستهزائهم

فإنهم أهل تعنت!، وإن كنت مأمورًا بإبلاغهم الحجة فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١٣٩/٢.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣١/٢٨-٢٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤٩/٣-٢٥٠، وينظر: محاسن التأويل للقاسمي، الأنعام ٢٣٣٦/٦، والأعراف ٢٦٧٦/٧.

ولا تشغلْ قلبك بهم...)[1]، وقال الألوسي: (والمعنى على سائر الأقوال: لا تُبَالِ بهؤلاء، وامْضِ لما أُمرتَ به)[2].

وحالة اضطرارية: وهي عندما يكون الإنكار والتغيير والعقاب متعذِّرًا لقلَّة المسلمين أو ضعفهم؛ فحينئذ يكون الهجر والاعتزال لهم ولأحوالهم أحفظ لدين المسلم وأبعد عن الفتنة والمداهنة، وقد أشار بعض المفسرين إلى هذه الحالة[3].

الطريقة الثالثة: العقوبة:

وذلك عندما يكون دين الله وشرعه ظاهرًا ممكَّنًا له في الأرض فحينئذ يحكم ولي الأمر فيمن وقع في صورة من صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا بما يراه مناسبًا من العقوبة مع تلك الصورة وحال المتلبس بها من تعزير ونحوه بعد بيان الحق له.

وفي ذلك مدافعة للفساد والمفسدين، وحفظ للدين وشعائره، وإقامة لأحكامه وحدوده، وردع لمن تجاوز واستهان به وبتعاليمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠].

قال ابن تيمية: (يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السُّنَّة والشريعة والنهي عن البدعة والضلالة بحسب الإمكان، كما دل على وجوب ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة)[4].

الخاتمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى، أما بعد: فمن أهم نتائج هذا البحث:

- أن هناك قوادح في تعظيم الدين الحق: منها ما يقدح في أصله فيزيله، ومنها ما يقدح في كماله فينقصه.
- أن من تلك القوادح "اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا"، وهو: انصراف القلب عن معرفة الله وتعظيمه، ومحبَّته وتصديق خبره، وانصراف الجوارح عن إقامة شعائر دينه أو بعضها، وانشغالها بغيرها مما لا منفعة فيه.
- أن اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا له أسباب ثلاثة دل على بعضها سياق آيتي الأنعام والأعراف.
- أن قادح اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا له صور خمس متفاوتة في أحكامها.
- أن هذا القادح له طرقٌ ثلاث لمعالجته حسب النصوص الشرعية وهدي السلف، وهي تتناسب مع أحوال المعالِج من قوة وضعف، وجلب مصلحة ودفع مفسدة.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٣٣٢/٧.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٨٦/٧.

(٣) قال الثعالبي: (وقوله سبحانه: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠] هذا أمر بالمتاركة، وكان ذلك بحسب قلَّة المسلمين يومئذ ...) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ٤٨٠/٢-٤٨١، وينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١٣١/٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٠٥/٢٢.

(٤) الاستقامة لابن تيمية ٤١/١.

ومما يُقترح ويُشار إليه في خاتمة هذا البحث: أن بعض صور اتخاذ الدين لهوًا ولعبًا تحتاج إلى تتبُّعٍ معاصرٍ كصور الاستهزاء والسخرية بالله ورسوله وكتابه ودينه ودعاته وأتباعه؛ وصور الأعياد المبتدعة ليحذر منها الناس فلا يقعون فيها، وهم لا يشعرون.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يتقبَّل هذا البحث، ويجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفع به المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. تأليف: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي.

أسد الغابة في معرفة الصحابة. تأليف: علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير علي، تحقيق: محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة. تأليف: أحمد بن علي بن حجر، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف: محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، إشراف: د بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين. تأليف: فخر الدين الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية: القاهرة، ١٣٩٨هـ.

الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين: ط١٥، أيار/مايو ٢٠٠٢ م.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تأليف: ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي: ط١.

الباعث على إنكار البدع والحوادث. تأليف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة، تحقيق: عثمان أحمد عنبر، دار الهدى: القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.

البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تأليف: أبو العباس أحمد بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار الكتب العلمية: بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

البداية والنهاية. تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة: ط١، ١٤١٨هـ.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة: بيروت.

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية: تونس، بدون ط، ١٩٨٤م

تفسير البحر المحيط. تأليف: أثير الدين محمد بن يوسف أبو حيان د. عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي.

تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين. تأليف: الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز: ط١، ١٤١٧هـ.

تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، وضع حواشيه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

تفسير القرآن الكريم – سورة الأنعام. تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي: ط١، ١٤٤٣ هـ.

تلبيس إبليس. تأليف: أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: عصام فارس الحرستاني، المكتب الإسلامي: بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. تأليف: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، دار الصميعي: الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تأليف: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق ومقابلة عبدالرحمن بن معلا اللويحق، دار المغني: ط١، ١٤٢٢ هـ.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تأليف: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية: ط٢، ١٤١٨هـ.

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تأليف: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الكتب المصرية: القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية. تأليف: د. محمد أحمد لوح، دار ابن عفان: القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تأليف: عبدالرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، د. عبدالفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي: ط١، ١٤١٨ هـ.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تأليف: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث: بيروت.

زاد المسير في علم التفسير. تأليف: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٢هـ.

سنن ابن ماجه. تأليف: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظم يشركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة): ط٢، ١٤٠٤هـ

سنن الترمذي. تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير: دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ

شـــرح العقيدة الطحاوية. تأليف: ابن أبي العز الحنفي، خرج أحاديثها: محمد ناصـــر الدين الألباني، المكتب الإسلامي: بيروت، ط٩، ١٤٠٨هـ.

شـــرح كتاب التوحيد. تأليف: عبدالعزيز بن باز، حقق أحاديثه وخرجها: محمد العلاوي، تأليف: دار الضـــياء: طنطا، ط١، ١٤٢٢هـ.

صحيح البخاري. تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام: الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

صحيح الترغيب والترهيب. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي: بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

صحيح سنن أبي داود. تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس: الكويت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

صـــحيح ســـنن الترمذي. تأليف: محمد ناصـــر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشـــر والتوزيع: الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

صحيح مسلم. تأليف: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث: القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة. تأليف: أد. عبدالله محمد القرني، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة: الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسـير. تأليف: محمد بن علي الشـوكاني، وزارة الشـؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: السعودية، ١٤٣١هـ.

فتح المجيد لشـرح كتاب التوحيد. تأليف: عبدالرحمن بن حســن بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان، دار الصميعي: الرياض، ط٢، ١٤١٧هـ.

القوادح في العقيدة ووسـائل السـلامة منها. تأليف: الشـيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز– رحمه الله، دار الإمام أحمد: القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تأليف: أبو القاسم جار الله الزمخشري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة: بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ.

الكشـف والبيان في تفسـير القرآن. تأليف: أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: سـيد كشـروي حسـن، دار الكتب العلمية: ط١، ١٤٢٥ هـ.

لســـان العرب. تأليف: ابن منظور، عناية: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصـــادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية. تأليف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: ١٤١٦هـ.

محاسن التأويل، تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، صححه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، ١٣٩٦هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة. تأليف: محمد الموصلي، تحقيق: د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف: الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

المسائل التي خالف فيها رسول أهل الجاهلية. تأليف: محمد بن عبدالوهاب، تحقيق وشرح: يوسف محمد السعيد، دار المؤيد: ط١، ١٤١٦هـ.

معالم التنزيل. تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، دار الفكر: بدون ط، ١٤٠٥ هـ.

معجم مقاييس اللغة. تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، بدون ط، ١٤٢٠ هـ.

مفاتيح الغيب. تأليف: محمد بن عمر الرازي، دار الفكر: ط١، ١٤٠١ هـ.

منهج ابن تيمية في مسألة التكفير. تأليف: د.عبدالمجيد سالم المشعبي، أضواء السلف: الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تأليف: أبو الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، ١٤٠٤هـ.

النكت والعيون. تأليف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود عبدالرحيم، دار الكتب العلمية: بيروت.

نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف. تأليف: د. محمد بن عبدالله الوهيبي، دار المسلم: الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية: بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٥ هـ.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تأليف: أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر: بيروت.